المجلس السابع : معالم التوحيد في دعوة إبراهيم

abobakrelkady AboBakr Elkady
www.abobakrelkady.net KonnashatElkady

قال تعالى...

{وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ آزَرَ أَتَتَّخِذُ أَصْنَامًا آلِهَةً إِنِّي أَرَاكَ وَقَوْمَكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ}[الأنعام:٧٤].

أول مواجهة بين التوحيد وبين الكفر، بين النور وبين الظلمات، بين الحق وبين الباطل، كانت بين إبراهيم (عليه السلام) وبين أبيه آزر، الذى كان ينحت هذه الأصنام، يصنعها لقومه ويعبدونها من دون الله (عز وجل).

عجيب أمر هؤلاء، كيف يتخذون هذه الأصنام آلهة وهى لا تنفع ولا تضر؟!

كيف؟ وينبغي أن يكون الإله سميعًا بصيرًا قويًا قديرًا.

كيف يتخذون هذه الأصنام آلهة وهى لا تسمع ولا تبصر؟!

وهى لا تنفع ؟! وهى لا تضر؟!

{أَمْوَاتٌ غَيْرُ أَحْيَاءٍ ۖ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ}[النحل:٢١].

أول مَعْلم من معالم التوحيد كانت في دعوة إبراهيم (عليه السلام) لأبيه آزر الذى كان على الكفر وكان على الشرك، ومع ذلك كان إبراهيم (عليه السلام) أواهًا حليمًا، كثير التأوه، التوجع لحال الخلق المعرضين عن ربهم (عز وجل).

حليمًا في دعوة قومه ودعوة أبيه، رفيقًا بهم، رحيمًا بهم.

كان إبراهيم (عليه السلام) بالرحمن خبيرًا، يعلم أن رحمة ربه (عز وجل) واسعة، ولذلك سيتجلى ذلك في دعائه ومناجاته لربه (تبارك وتعالى)، "فَمَن تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي ۖ وَمَن عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ".

كان قلب إبراهيم (عليه السلام) قلبًا كبيرًا، قلبًا سليمًا، يجمع بين التوحيد لله (عز وجل) وبين رحمة الخلق.

العلم بالله والعلم بأمر الله والانصياع لأمر الله والرحمة بالخلق.

إبراهيم (عليه السلام) يواجه أباه بهذا البرهان، كيف تتخذ هذه الأصنام آلهة؟! كيف تنحت وتعبد ما تنحت؟! وتعبد ما تصنع، كيف ذلك ؟!

وجعل يقول له يا ابتي يا ابتي يا ابتي، يخاف عليه أن يمسه عذاب الرحمن.

{يَا أَبَتِ إِنِّي أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِّنَ الرَّحْمَٰنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا}[مريم:٤٥].

شنع إبراهيم عليه السلام على أبيه بآدب عبارة، قال له أن يمسك عذاب من الرحمن، الرحمن مقتضى هذه الصفة هي الرحمة، فكيف يعذبك الرحمن إلا إذا كان جرمك عظيمًا، إلا إذا كانت جريمتك شنعاء هي الشرك بالله (عز وجل)، السيئة التي لا يغفرها الله.

{إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ}[النساء:٤٨].

هذه السيئة التي لا يغفرها الله ويُحبس أهل النار في النار بسببها، كانت هذه السيئة هي سبب لحبس أبي إبراهيم أيضًا في النار.

قال صلى الله عليه وسلم: "يلقى إبراهيم أباه آزر يوم القيامة، وعلى وجه آزر قترة وغبرة، فيقول له إبراهيم: ألم أقل لك لا تعصني؟ فيقول أبوه: فاليوم لا أعصيك، فيقول إبراهيم: يا رب إنك وعدتني أن لا تخزيني يوم يبعثون، فأي خزي أخزي من أبي الأبعد؟ (أي خزي أعظم من أن أبي يُبْعد في النار) فيقول الله تعالى: إني حرمت الجنة على الكافرين، ثم يُقال: يا إبراهيم، ما تحت رجليك؟ فينظر، فإذا هو بذيخ ملتطخ (أي ضبع يتلطخ في قذارته، أي يُمسخ إلي ضبع يتلطخ في قذارته)، فيؤخذ بقوائمه فيُلقى في النار".

فيلقى في النار تطيبًا لقلب إبراهيم عليه السلام.

ولكن الله تبارك وتعالى لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء حتى لو كان أبا إبراهيم (عليه السلام).

الله (تبارك وتعالى) ليس بينه وبين خلقه نسب وإنما هي التقوى.

ولذلك قال تعالى...

{وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَىٰ نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ ۚ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُم بِذُنُوبِكُم ۖ بَلْ أَنتُم بَشَرٌ مِّمَّنْ خَلَقَ}[المائدة:١٨].

{وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ آزَرَ أَتَتَّخِذُ أَصْنَامًا آلِهَةً إِنِّي أَرَاكَ وَقَوْمَكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ}[الأنعام:٧٤].

كان لابد من المواجهة، كان لابد من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

قد امتلأ قلب إبراهيم (عليه السلام) بالتوحيد والتفريد لربه والحب لربه (تبارك وتعالى).

قال تعالى...

{ وَلَقَدْ آتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ رُشْدَهُ مِن قَبْلُ وَكُنَّا بِهِ عَالِمِينَ}[الأنبياء:٥١].

وقال تعالى...

{وَكَذَٰلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ}[الأنعام:٧٥].

إبراهيم (عليه السلام) آتاه الله النبوة وآتاه الله الرشد وجعله موقنًا حتى فاض قلبه بهذا اليقين، وحتى جاء موعد البلاغ المبين، وموعد الدعوة إلى الله (عز وجل)، فإن قلب الداعية يفيض بالمعاني التي فيه، معاني التوحيد والتفريد والحب لله (عز وجل)، والبذل لله حتى يُبلّغ رسالات الله بمحض الإخلاص والصدق والرحمة للخلق.

{ الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَالَاتِ اللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا اللَّهَ ۗ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ حَسِيبًا}[الأحزاب:٣٩].

قال تعالى...

{وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ}[فصلت:٣٣].

كانت أول دعوة إبراهيم (عليه السلام) لأبيه آزر، ووقف معه هذه الوقفات التي كانت في سورة مريم والتي سنقف معها بإذن الله (عز وجل) في الحلقة القادمة.

وبعدها كانت مواجهته ومناظرته ومحاججته لقومه وقد أقام عليهم الحجة، وآتاه الله (عز وجل) الحجة عليهم.

فما كان بعد هذه الحجة منهم إلا أن أعرضوا وكان منهم لغة الحديد والنار، واوقدوا له نارًا كما سيأتي بإذن الله (عز وجل).

أقول قولي هذا وأستغفر الله العظيم لي ولكم....